

رَوَايَاتُ فِرْدَوْسِ الْخَطِّ
وَالنَّاهِيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

الشيخ أبو بكر سراج الدين

THESAURUS
ISLAMICUS
FOUNDATION
2 0 0 5

. المحتويات .

٧	مقدمة سمو الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة
١١	مدخل فضيلة مفتي الديار المصرية الأستاذ الدكتور على جمعة
١٧	تصدير
٢١	مقدمة
٢٣	الفصل الأول: فن الخط القرآني
٢٨	الفصل الثاني: فن التذهيب القرآني
٣٨	الفصل الثالث: الخط الكوفي وتطوره المشرق
	الفصل الرابع: خط النسخ
٤٢	والخطوط الصغيرة المتصلة الحروف في المشرق الإسلامي
	الفصل الخامس: عصر الفخامة والبهاء: المحقق والريحان
٤٤	والخطوط الكبيرة الأخرى المتصلة الحروف في المشرق الإسلامي
٥٩	الفصل السادس: خطوط المغرب الإسلامي
٦٢	مسرد المصطلحات
٦٣	كلمة الناشر
٦٤	مسرد اللوحات

. اللوحات .

٦٤	القسم الأول: الخط الكوفي وتطوره المشرق
	القسم الثاني: خط النسخ
٦٩	والخطوط الصغيرة المتصلة الحروف في المشرق الإسلامي
	القسم الثالث: عصر الفخامة والبهاء: المحقق والريحان
٧٦	والخطوط الكبيرة الأخرى المتصلة الحروف في المشرق الإسلامي
٩١	القسم الرابع: خطوط المغرب الإسلامي



ST. JAMES'S PALACE

There can be no doubt that every summit of sacred art belongs in a sense to us all, encompassing as it does a universal meaning that goes far beyond the literal message of the divinely-established religion in which it is rooted. Some of these wonders are monumental, such as the cathedrals and mosques of the Middle Ages. Others, much smaller in size, such as icons and manuscripts, are portable, and many of these have been removed from their original setting and can now be seen, rather like refugees, in museums and libraries. The summits of sacred art reproduced in the following pages belong to this second category.

This book by Martin Lings gives us over one hundred and eighty excellently reproduced openings, carefully chosen from the greatest collections of Quran manuscripts in the world. Let us hope that in addition to their immediate message of beauty, these plates may help to revive the sacred art of illumination so that it may accompany once again the art of Quran calligraphy which remains to this day a living reality.

Cherry

. تواصل .

وقد علق سمو الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة على الكتاب بما يلي :

ليس من شك في أن كل قمة من قمم الفن القدسي تنتمي إلينا جميعا بمعنى ما وتحيط بما هي بمعان كلية تذهب بعيدا فيما وراء حرفية رسالة الوحي في الدين الذي تنبثق منه . وبعض هذه القمم قد تكون صريحة على شاكلة الكاتدرائيات والمساجد في العصور الوسطى ، وقد يكون غيرها دقيق الحجم أو المساحة مثل الأيقونات والمخطوطات وهي منقولات نُقل كثير منها من مواطنها وأصبحت في حيز العرض ، كما لو كانت لاجئة إلى المتاحف والمكتبات . وقمم الفن القدسي المنسوخة في الصفحات التالية تنتمي إلى هذه الطبقة الأخيرة .

وهذا الكتاب الذي يقدمه إلينا مارتن لينجز يعرض لنا ما يربو على مائة وثمانين لوحة ، وقد اختارها بعناية من بين أعظم مجموعات المخطوطات القرآنية في العالم ، ونأمل في أن تسهم هذه اللوحات إضافة إلى رسالتها المباشرة من الجمال في إحياء فن تذهيب المقدسات حتى يصاحب مرة أخرى فن الخط القرآني الذي مازال حقيقة تعيش إلى يومنا هذا .

مقدمة

مرات عديدة وأنا أروى قصة انتشار الإسلام، إلا أنها من نوع القصص التي لا يمل تكرارها ومزيد ترددها، ولن نفتات على موضوعنا هذا إذا نحن أشرنا في مجالة إلى ملامحها الكلية، فهي - قبل كل شيء - قصة التأثير القوي الذي كان سببا مباشراً في نشأة الفن، والفن هو موضوع كتابنا هذا بل كان ذلك التأثير سببا في نشأة أشياء أخرى.

كانت قبائل العرب في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الإسلام تعاني من شدة الفاقة والفرقة، وكثرة المعارك والحروب فيما بينها ولم يكن العالم آنذاك يعرف عنها إلا أقل القليل، ثم تنزل الوحي الإلهي على أحد أبناء هذه القبائل النجباء، ولم تمضِ سنوات قلائل وبالتحديد في ٦٢٠ ميلادية حتى نبذ النبي الجديد غالبية قومه، واضطر إلى الخروج من وطنه وداره بمكة، فغادرها في حُجبة واحدة فقط من أصحابه، والخطر يحدق به من كل جانب، غادرها قاصداً مستقبلاً مجهولاً في حاضرة يثرب التي تقع من مكة على مسيرة أحد عشر يوماً على الجمال، وهي التي عرفت فيما بعد بالمدينة، وبعد مرور مائة وثلاث سنوات على هذه الواقعة كانت طلائع الدولة التي أسسها تعبر جبال اليرانيز إلى فرنسا بعد ما تم لها فتح جميع إفريقية الشمالية ومعظم بلاد جزيرة أيبيريا. أما في الشرق فقد وصلت تلك الدولة إلى بلاد فارس والهند حتى مشارف الصين وبعد ذلك وقعت لها بعض الخسائر التي أعقبتها مكاسب أرحم منها وأعمق أثراً، وبقي الإسلام يهيمن على أكثر تلك المناطق حتى يومنا هذا. ولقد بات من الواضح أن التأثير الذي جاء به ذلك الدين والذي أحدث هذه النقلة النوعية قد أثر، ولا بد في جوانب أخرى تتعلق بقابلية الإنسان وقواه الكامنة، وهكذا برزت فوائد أخرى لرسالة الوحي تشبه الفائدة العامة، تلك هي ميلاد طراز جديد من العمارة، استطاع أن يظهر استقلالته عن كل ما سبقه من فنون العمارة، ليس فقط من حيث التفاصيل التكوينية، ولكن في الأثر الكلي الذي يتركه ذلك الطراز في الإنسان. وفي مسافة من الزمن تُعد قصيرة نسبياً استطاع هذا التأثير أن ينتج صروحاً عمرانية من النوع الذي يندر نظيره ولا يمكن التفوق عليه.

لقد كانت هناك عملية خلق من عدم أخرى تشبه خلق فن العمارة والذي لا يمكن اعتباره تطوراً طبيعياً لأن كان موجوداً في السابق، فن خصائص العرب الكبرى قبل الإسلام وعيهم الشديد باللغة وكان

. الفصل الأول .

فن الخط القرآني

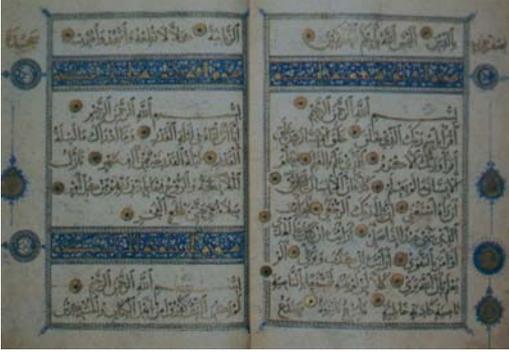
إنَّ الحاجة إلى تسجيل ونقل كلِّ حرف من حروف القرآن بدقة تامة للأجيال التالية جعلت الاعتماد على شيء غير معصوم من الزلل مثل الذاكرة البشرية أمرًا غير ممكن، على الرغم من أنَّ الذاكرة التي نتحدث عنها هنا كانت تتميز بجودة عالية. بيد أنَّ النقطة التي ينبغي أن يعوَّل عليها المرء هنا ليست هي أمر قوم لم يعرفوا الكتابة ولا العمارة فأصبحوا، بقوة الظروف وحدها، شعبا فيهِ الكتاب والبَّاءون. إنَّ التشبيه الذي نعقده يقوم على تغيير من وضع لم يكن فيه شيء تقريبا إلى وضع أصبح فيه كل شيء، وفي حالة فن الخط بالذات، فإنَّ التغيير يدعو للدهشة أكثر من العمارة. فليس الأمر فقط أنَّ العرب لم يبرِّهم أحد في فن الخط، ولكن أيضا أنَّ أحدا من الشعوب ربما لم يبلغ فيه درجتهم، إلا الصينيين الذين تطور عندهم هذا الفن في اتجاهاتٍ مختلفة تماما.

على كلِّ حال، لا يمكن اعتبار التفوق الذي تميزت به حضارة النَّبي الأُمِّي في فن الكتابة شيئا عجيبا أو متناقضا. حتَّى بغض النظر عن حسنات الدخول في هذا المجال بدون عبءٍ يذكر من التجارب السابقة، فعزوف العرب أولاً عن كتابة الكلمات النفيسة لديهم لا شك أنه قد لعب دورا إيجابيا في جذور نشأة الخط العربي. فهؤلاء الناس كانوا يعشقون جمال لغتهم وجمال صوت الإنسان. ولم يكن هناك أي معيار مشترك بين هاتين القمَّتَيْن الجماليتين من جهة، وبين انعدام قيمة الخط الوحيد المتوفر لديهم من جهةٍ أخرى. فاستخفا فهم بالكتابة كان تعبيرا عن شعورهم بقيمٍ أعلى. وعلى ضوء ما أسفرت عنه النتائج النهائية، فن المشروع لنا الآن أن نفترض أنَّ موقفهم هذا كان بمثابة الجانب الآخر لحالة تهيئهم لتلقي الإلهام بفن الخط، فكأنَّهم قد قالوا: إذا لم يكن لنا خيار من تدوين رسالة الوحي، فليكن هذا السجل المكتوب تجربة تعدل في قوة تأثيرها على العين عندما تراه قوة السجل المحفوظ في الذاكرة في تأثيره على الأذن عند سماع النطق بالكلمات أو ترتيلها.

ولعل أكثر التفاسير غرابة للظاهرة التي نتناوله الآن هو أنَّ عبقرية الإنسان التي مُنعت في الشرع

٥ مع العرب يجب أن تشمل بعض الشعوب الأخرى خصوصا الفرس والأترك الذين أصبحت اللغة العربية هي لغة الشعائر بالنسبة لهم. ولكن العرب كانوا أول مرتادي هذا الفن.

٦ وهكذا سمي النبي ﷺ في القرآن (١٥٧/٧، ١٥٨) وانتقلت هذه التسمية إلى كلِّ الأدعية الإسلامية.



١٢١



١٢٢



١٢٣

١٢١
ملوكى بشكل نمطى . نفس الشيء يمكن أن يقال ، في كلتا الحالتين ، عن لوحات الافتتاح من نفس التاريخ ، التي تظهر في ألواح ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٦ ، ١٩٢ - ١٩٧ و هو نص لنقش كوفي مشرقى مزهر في البطانات المستطيلة فوق المربع المركزى وتحتة . هذا المخطوط حفظ جيدا بشكل عام ، ولكن الشجرة الها مشية من الصفحة اليمنى للوحة الافتتاحية قد أصابها عطب كبير ، فهو أمر معروف لأن هذه التحفة من التذهيب قد أعيد إنتاجها لمرات ومرات عديدة .

١٢٢
ويقينا أنه لو كان في إمكاننا أن نستشير الفنان لقال لنا : " إذا كنت هنا ، فسأصلح الشجرة بنفسى ، ولكن لكونى لست هنا ، فعليكم أنتم أن تفعلوا هذا بمساعدة الشجرة اليسرى التي لم يصيبها العطب " ، ولقد اتبعنا هذه التعليقات ولسكننا لم نأخذ مثل هذه الخطوات الجريئة في هذا الكتاب .

١٢٣
لوحة افتتاحية لمسا بيلي .
ff. 1v-2r.
و كتاب :

Richard Ettinghausen (*Arab Painting*, Lausanne, 1962, p. 173)

يلفت انتباهنا إلى زهرات اللوتس والمظلات الصينية . هذا الملح يوحى بتأثير مغولى ، ولكن الطراز ككل هو مملوكى بشكل نمطى . نفس الشيء يمكن أن يقال ، في كلتا الحالتين ، عن لوحات الافتتاح من نفس التاريخ ، التي تظهر في ألواح ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٦ ، ١٩٢ - ١٩٧ و هو نص لنقش كوفي مشرقى مزهر في البطانات المستطيلة فوق المربع المركزى وتحتة . هذا المخطوط حفظ جيدا بشكل عام ، ولكن الشجرة الها مشية من الصفحة اليمنى للوحة الافتتاحية قد أصابها عطب كبير ، فهو أمر معروف لأن هذه التحفة من التذهيب قد أعيد إنتاجها لمرات ومرات عديدة .

١٢٤
جزء من اللوحة الافتتاحية السابقة .

١٢٥
خط محقق مع عناوين السورة بالخط الكوفي المشرقى المزهر (٧٠.٥ × ٥٥ سم) ، من مصحف كتب وذهب لأرغون شاه الأشرقى ، وهو عامل دولة في خدمة السلطان الأشرقى شعبان ، حوالى ٧٧٠ / ١٣٦٩ ، القاهرة .
Cairo, National Library of Egypt, 54, ff. 2v-3r.



١٢٤



١٢٥



١٢٦



١٢٧

١٢٦
لوحة افتتاحية لمسايلي .

ff. 1v-2r.

١٢٦-١٩٢، ١٩٧، هو نص لنقش كوفي مشرق مزهر في البطانات المستطيلة العليا والسفلى، ٣٥، ٢٩-٣٢، هو نص كتب حول مربعين مركزيين اثنين .



١٢٨

١٢٧

١٢٧-١٠٢، ٥٠٢، خط محقق مع عناوين السورة بالخط الكوفي المشرق المزهر (٨٤×٥٣ سم)، وهو من مصحف كان قد جعله السلطان شعبان سنة ٧٧٠/١٣٦٩ وقفا على المدرسة التي أسستها أمه بالقاهرة .

Cairo, National Library of Egypt, 7, ff. 2v-3r.

١٢٨

١٢٨-١، عنوان السورة رقم ٨٨، من نفس المخطوط .

ff. 399v-400r.

١٢٩

١٢٩-١، ١١٣، ٦، من نفس المخطوط .

ff. 408v-409r.



١٢٩

١٣٠

لوحة افتتاحية لمسايلي .

ff. 1v-2r.

١٣٠-٧٧، ٨٠، وهو نص لنقش بخط الریحان .

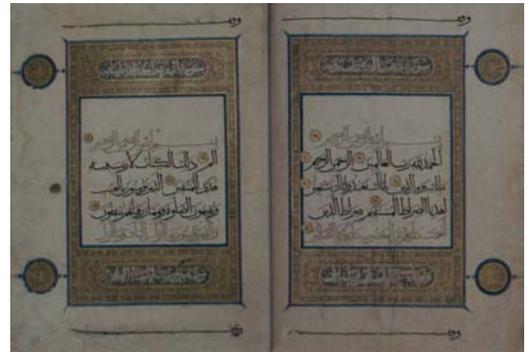
١٣١

١٣١-١٠٢، ٤، خط محقق مع عناوين السورة بخط الریحان (٧٥×٥٠،٥ سم)، كتبه يعقوب بن خليل الحنفي، ٧٥٧/١٣٥٦، القاهرة . هذا المصحف كان قد جعل وقفا من السلطان شعبان في ٧٦٩/١٣٦٨ على مدرسة أمه .

Cairo, National Library of Egypt, 8, ff. 2v-3r.



١٣٠



١٣١